OPEN ACCESS
Received: 19 -01 -2025
Accepted: 22- 04-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Similar Verses Containing the Root *Dh-K-R*: A Rhetorical Study

Dr. Noura Wadeed Aṭiyyah Al-Onezi *

nwalonezi@pnu.edu.sa

Abstract

This paper probes the rhetorical logic behind the Quran's use of the root *dh-k-r* in verses that appear outwardly similar. By comparing each pair or cluster of similar verses, the study explains why the text sometimes opts for a nominal form instead of a verbal one, substitutes a single letter, or replaces one clause structure with another. Two focal sections analyze, first, shifts in morphological form and, second, shifts in syntactic arrangement. The findings reveal that *dh-k-r* spans a rich semantic field—ranging from "remembrance" and "supplication" to "glorification"—and that every stylistic variation serves a calculated rhetorical aim, whether to emphasize, omit, singularize, pluralize, masculinize, or feminize. The study shows that the Quran's nuanced deployment of *dh-k-r* underscores both its semantic breadth and its matchless stylistic precision.

Keywords: Quranic Rhetoric, Stylistic Features, Rhetorical Structures, Quranic Style, Syntactic Variation.

* Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, College of Humanities and Social Sciences, Princess Nourah Bint Abdulrahman University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Onezi, N. W. A. (2025). Similar Verses Containing the Root *Dh-K-R*: A Rhetorical Study, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(3): 402 -420. https://doi.org/10.53286/arts.v7i3.2766

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/01/19م
تاريخ القبول: 2025/04/22م

الآيات المتشابهة في مادة (ذكر): دراسة بلاغية

د. نورة وديد عطية العنزي *
nwalonezi@pnu.edu.sa

الملخص:

تهدف الدراسة إلى معرفة الأسرار البلاغية في استعمالات مادة (ذكر)، عند دراسة صيغ آياتها المتشابهة من اسمية وفعلية، أو إبدال حروف ببعضها، أو استعمال جمل بدل جمل، وهكذا؛ حتى تصل إلى معرفة الأسرار البلاغية لاستخدام صيغة دون أخرى، أو حرف دون آخر، أو خاصية بلاغية دون أخرى من حذف وذكر وتذكير وتأنيث، وإفراد وجمع. بتعبير آخر: دراسة الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر) بصيغها وتراكيبها المختلفة، من خلال تتبع سياقاتها الواردة فيها، ومعرفة أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها. ويتضمن البحث مقدمة وتمهيدا؛ ومبحثين، المبحث الأول اختلاف الصيغ في الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر)، والمبحث الثاني: اختلاف التراكيب في الآيات المتشابهة المتضمنة مادة ذكر، وقد تنوعت معاني مادة (ذكر) في آيات الدراسة، إذ شملت التذكر خلاف النسيان، والذكر بمعنى: الدعاء، والذكر بمعنى: التسبيح، وغيرها من المعاني، مما يدل على أن لمادة (ذكر) الكثير من المعاني فهي لم تقف عند معنى واحد. وكان متشابه مادة (ذكر) من النوع الذي يهتم بجانب المعنى، وإن لم يخل بجانب اللفظ أيضًا، وهذه سمة من سمات الأسلوب القرآني. ويُؤتى بـ(ذكر)، في موضع الإظهار، والأولى أن يكون مضمرًا، ويكمن السبب في الغرض البلاغي الذي يرمى إليه الكلام.

الكلمات المفتاحية: بلاغة القرآن الكريم، السمات الأسلوبية، التراكيب البلاغية، الأسلوب القرآني، اختلاف التراكيب.

* أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: العنزي، ن. و. ع. (2025). الآيات المتشابهة في مادة (ذكر): دراسة بلاغية، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(3): 402-420. https://doi.org/10.53286/arts.v7i3.2766

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

ليس ثمة اختلاف على أن من أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ هو الإعجاز البلاغي، ولا عجب في ذلك؛ لأنه أتى معجزًا موجهًا لقوم عرفوا ببلاغتهم. فلا ريب أن ينزل على أساليبهم، ومن أبرز ما في لغة العرب؛ كثرة تصرفات الألفاظ المنبثقة من أصل لغوي واحد واشتقاقاتها، فحينما تُذكر المفردة القرآنية الواحدة ذات المعاني المتعددة، تختلف عن مفردة الشعر والنثر، وإن حملت بعضًا من المعاني ذات الأصل الواحد، إلا أنها لا تقارن بمفردات القرآن -ولكتاب الله المثل الأعلى-.

ثم إن معاني المفردات القرآنية لا يمكن فهمها ما لم تُفسر من خلال سياقاتها الواردة فيها، لما يقوم به السياق من الدور الواضح في تفسير معنى المفردة، وثمة سبب آخر؛ وهو تنوع معاني المفردات لتنوع السياقات الواردة فيها؛ لذا فإن أي محاولة لتفسير معاني المفردة القرآنية، دون إمعان النظر في السياق الذي وردت فيه، يُعد ضربًا من التعسف والتأويل الباطل الذي لا يستند على أساس؛ وذلك لأن السياق هو المعين على القطع بمعرفة المراد، وهو أهم القرائن الموصلة للمعنى المطلوب.

لذا فقد وقع الاختيار على الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر)؛ ذلك لأنها مادة غزيرة المعاني، لأنها لا تقتصر على التذكر المعهود خلاف النسيان، وإنما تحمل الكثير من المعاني، من تذكر ضد النسيان، ومن تسبيح وتهليل، ومن أسماء وعبادات معينة، والكثير من المعاني فضلًا عن عدد الآيات المتشابهة لهذه المادة، وتنوع صيغ هذه الآيات، وكلها أمور حفزت على هذه الدراسة.

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها ستبين مواضع الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر) في القرآن الكريم، وستعرف السر في استعمالها دون غيرها من المفردات التي يُظن أنها ستؤدي نفس الغرض؛ وستقف على الأغراض البلاغية من جراء تنوع صيغها وتعدد اشتقاقاتها، عند حصر آياتها المتشابهات وعند دراسة الفروق بينها.

ومما يؤيد الدعوة إلى مثل هذه الدراسات قول فاضل السامرائي، حينما بين السبب في تأليف كتابه (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني)، حيث يقول: " هناك أمر دعاني إلى تناول مثل هذه الأبحاث؛ وهو أنني لم أجد في شأن مفردة في القرآن الكريم وتعليل استعمالاتها كتبًا مخصصة في حدود ما اطلعت عليه، نعم، هناك كتب التفسير وكتب المتشابه وغيرها أشارت إلى سبب اختيار هذه اللفظة في هذا الموضوع دون غيرها من المتشابه، كما أن هناك كتبًا في مفردات غريب القرآن قد تذكر الفرق بين لفظة وأخرى، كالفرق بين "جاء" و"أتى"، وهذا أشبه لها بكتب الفروق اللغوية. غير أنني لم أرَ كتابًا يبحث في المفردات في القرآن، ويبوبها على الموضوعات، ويجمع ما تشابه من ذلك ويدرسه... " (السامرائي، 2006، ص 5).

تتلخص أسباب اختيار هذا الموضوع في عدم وجود دراسة تناولت آيات هذه المادة في الآيات المتشابهة -في حدود علمي- وقامت بدراسة مقاماتها وفق سياقاتها الواردة فيها. وعلم متشابه النظم القرآني لم ينل حظًا من الدرس والتأليف قديمًا وحديثًا، مع كونه من أجل علوم الإعجاز وأدلها على خرق العادة في مجال التحدي. ولعل هذا العلم- علم متشابه النظم القرآني - لا يكفيه تحصيل العلوم، وإنما يجب أن يكون لدى المفسر المهنية والاستعداد. (الزين، 1432، ص 1643).

كما أن هذه المادة (ذكر) مادة ذات معان غزيرة، فهي لم تقتصر على الذكر بمعناه المتعارف عليه عند الناس، ولم تقتصر على التذكر بمعناه المتعارف عليه ضد النسيان، وهذه خصيصة من أبرز خصائص المفردة القرآنية كافة، فضلًا عن تنوع موادها بين الصيغ الاسمية، والفعلية، والمشتقات، وبناءً عليه ستتنوع تراكيبها البلاغية، وهذا من شأنه أن يكون سببًا قويًا من أسباب دراسة هذا الموضوع. وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن الأسباب السابقة، يتمثل في الكشف عن منهج

القرآن المعجز عند عرض مفردة من مفرداته. فمع تكرر ذكر هذه المفردة في مئات الآيات، إلا أنها تدل على معانٍ مغايرة في كل موضوع مذكور فيه، وهذا رأس الإعجاز البلاغي وذروة سنامه.

تهدف الدراسة إلى معرفة الأسرار البلاغية بين استعمالات مادة (ذكر)، عند دراسة صيغ آياتها المتشابهة من اسمية وفعلية، أو إبدال حروف ببعضها، أو استعمال جمل بدل جمل، وهكذا؛ حتى تصل إلى معرفة الأسرار البلاغية لاستخدام صيغة دون أخرى، أو حرف دون آخر، أو خاصية بلاغية دون أخرى من حذف وذكر، وتذكير وتأنيث، وإفراد وجمع.

بمعنى: دراسة الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر) بصيغها وتراكيبها المختلفة، من خلال تتبع سياقاتها الواردة فيها، ومعرفة أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها.

ثمة دراسات تناولت موضوع الذكر، مفردًا كان أو مع موضوع آخر، وهي:

أولًا: الذكر في القرآن الكريم (دراسة موضوعية). أطروحة دكتوراه مقدمة من الباحث: حمد بن أحمد البدر، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين عام 1414م، جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض.

ثانيًا: رسالة ماجستير بعنوان آيات الذكر (دراسة وتحليل)، مقدمة من الباحث: فوح بن زربان عبد الجبار، قسم العلوم الإسلامية، جامعة بغداد عام 1997م.

ثالثًا: رسالة ماجستير بعنوان: آيات الذكر والتسبيح في القرآن الكريم، دراسة تركيبية دلالية، مقدمة من الباحثة: رابعة بنت أحمد صالح، جامعة عدن، كلية التربية، قسم اللغة العربية، عام 2009م

رابعًا: رسالة دكتوراه بعنوان: الذكر والدعاء في البيان النبوي، دراسة تحليلية بلاغية، مقدمة من الباحثة: حفصة الرميح، لكلية التربية بالرياض، قسم اللغة العربية.

خامسًا: الذكر في القرآن الكريم والسنة المطهرة لمحمود الصباغ، دار الاعتصام للنشر والتوزيع، القاهرة عام 1986م.

وعند ذكر ما سبق من دراسات؛ يظهر اختلاف هذه الدراسة مع ما سبق من دراسات في أن بعضها تناول الذكر في الحديث النبوي، وليس الذكر في القرآن الكريم. والدراسات التي تناولت الذكر في القرآن أيضًا كانت تتناول موضوعًا آخر مع موضوع الذكر. بالإضافة إلى ذلك، وهو الأهم، لا توجد دراسة تناولت الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر) وأفردتها بالدراسة البلاغية، وهذا ما ستقوم به هذه الدراسة.

فستقوم عن طريق المنهج الاستقرائي باستخراج هذه الآيات المتشابهة، ومن ثم تحديد كل فن بلاغي خاص بهذه المادة وفق خطة البحث المحددة للدراسة؛ هذه هي المرحلة الأولى، ثم تحليل الآيات المتشابهة المتضمنة مادة ذكر بلاغيًا وتفسير العلاقات المحيطة بها، ومقتضى حال كل آية بحسب سياقاتها الواردة فيها عن طريق المنهج التحليلي، عند الوقوف على الأسباب البلاغية المؤدية إلى تنوع صيغها، وأنواع أحوالها في التراكيب.

وبعد المقدمة المشتملة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، يأتي التمهيد؛ ومن ثم يأتي مبحثا الدراسة، وهما:

المبحث الأول: اختلاف الصيغ في الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر)، وهي على النحو الآتي:

أولًا: التذكير والتأنيث.

ثانيًا: الإفراد والجمع.

ثالثًا: الاسم والفعل.

رابعًا: التعريف والتنكير.

المبحث الثاني: اختلاف التراكيب في الآيات المتشابهة المتضمنة مادة ذكر ويشمل:

أولًا: الحذف والذكر.

ثانيًا: الإبدال

ثالثًا التقديم والتأخير.

بعد ذلك، تأتي الخاتمة متضمنة النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ومن ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

التمهيد.

قبل البدء بالتمهيد؛ يجدر الوقوف عند معنى المتشابه في اللغة؛ فالتشابه هو: التماثل، والمشبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات. (الزين، 1432، ص 1641). وفي القاموس المحيط: شابهه وأشبهه: ماثله، وتشابها أشبه كل منها الآخر. (الفيروزآبادي، 2004، 2864).

والمتشابه اللفظي علم من علوم القرآن الكريم، أفرده بالتصنيف عدد من علماء علوم القرآن الكريم، منهم (الزركشي، د.ت، 69/2)، و(السيوطي، 1997، 3/ 339). و(السيوطي، د.ت، 85/1).

وقد اختلف كثير من العلماء حول الآيات المتكررة في اللفظ. فقد أشار العلماء مثل الإسكافي وابن الزبير والغرناطي والكرماني إلى أن الآيات المتكررة في اللفظ تختلف في المعنى، سواء بتقديم أو تأخير، أو بزيادة أو نقص، أو بإبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات. (الخطيب الإسكافي، 1422، 48/1؛ وابن الزبير الغرناطي، 1983، 1 / 103).

أما الزركشي والسيوطي فقد أجمعا على أن المتشابه هو: إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة (الزركشي، د.ت: 69/12؛ السيوطي، 1997، 339/3؛ السيوطي، د.ت، 1/ 85).

والآيات المتشابهات هي: عبارة عن الآيات التي اتفقت ألفاظها في الظاهر وتكررت في القرآن، لكنه وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو ما شابه ذلك، مما يؤدي في النهاية إلى حدوث اختلاف بين الآيتين أو الآيات. كما يدخل فيها أيضًا الآيات التي تكررت بعينها دون زيادة أو نقصان. ويأتي المتشابه في القرآن على أنواع منها:

1-" ما يشتبه بالزيادة أو النقصان نحو: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة (38)، ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه:123) " (الزين، 1432، ص 1432).

2-التقديم والتأخير، نحو: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأعراف (122). ﴿ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾(طه:70).

3-التعريف والتنكير، نحو: ﴿ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ البقرة.(126) ﴿ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ (إبراهيم:35).

4-الجمع والإفراد نحو: ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ البقرة. (80) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾(آل عمران:24).

5- إبدال حرف بغيره نحو: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ طه. (128) ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ ﴾(السجدة:26).

6- إبدال كلمة بأخرى نحو: ﴿ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ البقرة. (60) ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ (الأعراف:160).

7- الإدغام وتركه نحو: ﴿ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الانعام0(42) ﴿ يَضَّرَّعُونَ ﴾ **(الأعراف:94).**

8- اختلاف النظم كله نحو: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾. البقرة. (58) ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (الأعراف:161). (الزين، 1432، ص 1684).

وميز العلماء بين المتشابه والآيات المشتبهات دفعًا للبس وتحاشيًا للخلط، فإذا كان المتشابه هو الذي يحتمل أكثر من وجه من وجوه الرأي والنظر لما فيه من اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، أو بعضهم، فإن الآيات المتشابهات هي عبارة عن الآيات التي اتفقت ألفاظها في الظاهر، وتكررت في القرآن، لكنه وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو ما شابه ذلك، مما يؤدي في النهاية إلى حدوث اختلاف بين الآيتين أو الآيات، والأسرار فيها متعلقة بالبلاغة والإعجاز (الزين، 1432، ص 1643). والأولى خروج الآيات المتفقة لفظًا من حد التشابه، وذلك لاستلزام التشابه وجود اتفاق واختلاف. (الزين، 1432، ص 1643). والنظر في هذه الوجوه أمر بلاغي خالص، وأهم ما يمكن اعتباره في هذا الصدد أن مراعاة مقتضى الحال في القرآن وجه من وجوه إعجازه، وآيات المتشابه بينها أوجه اتفاق واختلاف؛ ذلك أن الاختلاف مرده إلى التلاؤم البلاغي والتناسب الذي يقتضي كل عبارة في موقعها. (الزين، 1432، ص 1648).

من هنا تكمن أهمية هذه الدراسة؛ نظرًا لكثرة طعن الطاعنين والملحدين في لغة القرآن وبلاغته في هذا العصر، فقد ذكر بعض المحدثين أن البلاغة العربية قد اقتصرت على دراسة الألفاظ المفردة فقط من حيث أداؤها للمعاني الجزئية بالجملة الواحدة أو الجمل المتصلة في معنى واحد (الزين، 1432، ص 1646).

إن هذه الظاهرة نفسها تتكرر، فتشير إلى إجداب العقول والجمود، ولذا نجدها تسري بين أصحاب البلاغة بعد عبد القاهر والزمخشري، فإذا هم لا يأتون بجديد في مباحثهم البلاغية، وإذا هم يقصرون عملهم فيها على التلخيص، فيُكتفى بتلخيص عبد القاهر، وهم سواء لخصوه وحده أو لخصوا معه الزمخشري، قلما أضافوا جديدًا إلا تعقيدات شتى، وبذلك تحجرت البلاغة، وأصبح من الصعوبة العودة إلى سيولتها (ضيف، 1990، ص 272).

ولعل ما سبق يكشف عن الكثير من العلاقات بين علم المتشابه ودرس البلاغة، وهذا مما يجب اتباعه في قضية تجديد بلاغتنا على النمط الذي سلكه الأسلاف عن طريق تحديد ضوابط التوجيه لديهم وإظهار منهجهم العام في درس المتشابه. (الزين، 1432، ص 1645).

وسيدرس هذا البحث الآيات المتشابهة المتضمنة مادة ذكر التي تنوعت في مقاماتها فهي في موضع متعلقة بالتقديم، وآخر بالتأخير، وتأتي في موضع مفردة، وفي موضع آخر جمعًا، أو هناك كلمات تُزاد بحرف وأخرى تُنقص بحرف، أو إبدال بعض الحروف مثل: حروف العطف وغيرها من الحروف أو إبدال بعض الأفعال ببعضها الأخرى التي يُظن أن معانيها مترادفة.

وعند إمعان النظر في آيات المتشابه المتضمنة مادة (ذكر)، وجدت أنها توزعت على المباحث الآتية.

المبحث الأول: اختلاف الصيغ في آيات المتشابه المتضمنة مادة (ذكر)

سيعمد هذا المبحث إلى تحليل الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر)، والتي كان الاختلاف فيما بينها بحسب الصيغ. وقد رصدت الدراسة اختلاف الصيغ، وهي على النحو الآتي:

أولًا: الاسم والفعل

هناك فرق في التعبير بالاسم أو الفعل عند البلاغيين، وقد بين الجرجاني هذا الفرق بقوله: (الفرق في الإثبات إذا كان بالاسم، وبينه إذا كان بالفعل، وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به

المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئًا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء.) (الجرجاني، 1989، ص 174)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾(الأعراف: 69)،

وقوله في السورة نفسها: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾(الأعراف: 74) فالشاهد هنا هو: اختلاف فاصلتي الآتيين المتشابهتين من ناحية الاسمية والفعلية.

ففي الآية الأولى، (69) من سورة الأعراف أضمر النعم، والتقدير: (واذكروا آلاء الله واعملوا عملًا يليق بتلك النعم لعلكم تفلحون) (الرازي، 1421، 7/ 128). أي: ليكون حالكم حال من يرجى فلاحه، وهو ظفره بجميع مراده، لأن الذكر موجب للشكر الموجب للزيادة. (البقاعي، 2003، 54/3)، فكلما زاد الشكر زاد ت النعم وهذا يتطلب مزيدًا من التكرار، فالتعبير بالفعلية هو الأنسب في هذا المقام، وفي السورة نفسها في الآية (74) أوضح هذه النعم ولم يضمرها، وهي: سكناهم القصور، من سهولة الأرض، فإنما تبنى من الطين واللبن والآجر، (البقاعي، 2003، 128/7)؛ لذلك أمر بنهي الفساد في الأرض، وهو المنع عن كل أنواع الفساد منعًا ثابتًا لا يتغير، فلا يجوز مع حق هذه النعم الجحود، لذلك عبر بالاسمية الدالة على الثبات، لأن الاسم يقتضي ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئًا فشيئًا، ولا فرق في قولك بين ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ﴾ وبين أن يقول (وكلبهم واحد) مثلًا في أنك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيئًا، بل تثبته بصفة هو عليها، فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب. (الجرجاني، 1989، ص 175).

ثانيًا: التذكير والتأنيث.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾(الأنعام، 90)، وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (التكوير:27) فقد ورد الخبر بلفظ التأنيث في الأولى، والتذكير في الثانية

مع تذكير المبتدأ فيهما.

ولعل السر البلاغي في ذلك هو: أن" آية التكوير لما تقدمها القسم على القرآن -بقوله تعالى- (فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ) (15)، مع ما وقع القسم به ثم ورد ضمير المقسم عليه في قوله: (إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) (التكوير:19)، أي: إن القرآن لقول رسول كريم، والمراد به جبريل عليه السلام، ثم أتبع بوصفه إلى قوله: (ثم أمين) " (ابن الزبير الغرناطي، 1983: 1/ 459).

ثم قيل: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ (التكوير:22)، والإشارة إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- فنزهه - تعالى - عن قول أعدائه ونسبتهم إياه إلى الجنون، ثم وصفه تعالى

بأنه ضنين على الغيب الموحى به إليه، فقال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾(24). ثم أعقب بقوله (وما هو) أي: وما القرآن، فجرت هذه الضمائر على التذكير على ما يجب (ابن الزبير

الغرناطي، 1983، 1/ 459).

وهذا الارتباط، أي جري الضمائر أو غير الضمائر هو من باب النظير، أي إلحاق النظير بالنظير (قصاب، 2014، ص 55).

"أما آية الأنعام، فتقدمها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾(89) للتناسب بين قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾، وبين ما تقدم، فكأن التقدير: إن هو،

أي الأمر أو المراد المقصود أو ما ذُكر من الكتاب والحكم والنبوة إلا ذكري، فناسبه (ذكرى) ولم يتقدم ما يستدعي لفظ التذكير ويناسبه، فجاء كل على ما يجب " (ابن الزبير الغرناطي، 1983: 460/1)

إذن: اختلفت الآيتان في (ذكر) من حيث التذكير والتأنيث، وقد تقدم بيان تذكيره مرة، وتأنيثه أخرى في الآيتين. ومن الملاحظ هنا: اشتراك الآيتين بالتأكيد بضمير الفصل (هو) في قوله: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)، (الأنعام، 90)، وقوله: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ)، (التكوير: 27)؛ لأن التوكيد يقوى بضمير الفصل، فيدل على القصر والاختصاص (بدوي، 2011، ص 18). ففي الآيتين، خص الله كتابه الكريم بأنه ذكر للبشر؛ لذلك قصر الله القرآن الكريم على أنه ذكر للبشر، وهذا من باب تعظيم مكانة القرآن الكريم، وأهميته في حياة البشر.

يظهر مما سبق: أن القرآن حينما ذكَّر كلمة (ذكر) تارة، وأنثها تارة أخرى، كان هذا التذكير والتأنيث بحسب سياق الكلام، ومقتضى حال السامعين، وهنا مكمن البلاغة؛ التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ثالثًا: التعريف والتنكير

رصدت الدراسة هذا الاختلاف في ثلاث آيات جاءت كلمة (الذكر) فيها نكرة ومعرفة في آية واحدة، كما في قوله:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ﴾(يس، 69)،

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (القلم، 52)،

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (التكوير، 27)،

وقوله: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ (ص، 1). فيعرف المسند والمسند إليه، أو يكون نكرة، بحسب المقام الذي يقتضيه التعريف أو التنكير. ففي سورة (ص)، جاز لك في قوله ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ أن تريد بالقرآن التنزيل كله، أو السورة بعينها، ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر، كما تقول: مررت بالرجل الكريم، وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل. ذي الذكر: والشرف والشهرة عن قولك: فلان مذكور (بدوي، 2011).

فالتعريف هنا في (الذكر) للتخصيص بأنه هو الذكر بعينه، ولا ذكر غيره. وقد بين الجرجاني هذا عند الحديث عن المصدر المشتق من الصفة بقوله: (الحديث عن الجنسية هنا مأخذ آخر غير ذلك، وهو أنك تعمد إلى المصدر المشتق من الصفة وتوجهها إليه لا إلى نفس الصفة، ثم لك في توجيهها إليه مسلك دقيق، وذلك أنه ليس القصد أن تأتي إلى شجاعات كثيرة فتجمعها له وتوجدها فيه، ولا أن تقول: إن الشجاعات التي يتوهم وجودها في الموضعين بالشجاعة هي موجودة فيه لا فيهم، بل المعنى على أنك تقول: كلنا قد عقلنا الشجاعة وعرفنا حقيقتها، وما هي... ويتبين لك أن الأمر كذلك اتفاق الجميع على تفسيرهم له بمعنى الكامل، ولو كان المعنى على أنه استغرق الشجاعات التي يتوهم كونها في الموصوفين بالشجاعة لما قالوا إنه بمعنى الكامل في الشجاعة؛ لأن الكمال هو أن تكون الصفة على ما ينبغي أن تكون عليه، وليس الكمال أن تجتمع آحاد الجنس وينضم بعضها إلى بعض، فالغرض إذن بقولنا: أنت الشجاع، هو الغرض بقولهم: هذه هي الشجاعة على الحقيقة، وما عداها جبن، وهذا هو الشعر، وما سواه ليس بشيء، وذلك أظهر من أن يخفى.) (الجرجاني، 1989، ص 197).

فهنا التعريف قيد المعرف به فكأنه صار نوعًا خاصًا وجنسًا برأسه، تقول: زيد الكريم حين يبخل الناس، وهو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرًا، وهو المقام حين تفر الأبطال، فالمقصود ليس مطلق الكرم، وإنما نوع خاص منه، كذلك الوفاء والشجاعة. (فيود، 2011، ص 191). فهنا التعريف بالعلمية بأنه القرآن الكريم، وصفته أنه ذو الذكر، لأن من أغراض

التعريف بالعلمية أن يقصد إلى تعظيمه أو إلى إهانته وتحقيره باستخدام الكنى والألقاب المحمودة أو المذمومة، كقولك: أبو الخير جارك، وأبو المعالي جاء، والعربي بطبعه ينفر من الألقاب المذمومة، ويكره الانتساب إليها، ويقبل إلى اللقب المحمود، ويحب الانتساب إليه. (فيود، 2011، ص 117).

أما التنكير في الآيات الثلاث؛ ففي سورة (يس)، لما كان سياق الآية متعلقًا بنفي الشعر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- لأنهم كانوا يقولون لرسول الله شاعر، وقد قال الله فيه: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾.

أي: وما علمناه بتعليم القرآن الشعر، على معنى: أن القرآن ليس بشعر، وما هو من الشعر في شيء، فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر (فيود، 2011). ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩﴾

يعني: ما هو: إلا ذكر من الله تعالى يُوعظ به الإنس والجن، وما هو إلا قرآن كتاب سماوي يُتلى في المساجد، وينال بتلاوته والعمل بما فيه الفوز في الدارين (فيود، 2011).

فناسب التنكير في ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ لإفادة النوعية، فهذا النوع فرد باعتبار سائر الأفراد، وإنما يشار للنوعية لغرض من الأغراض، إما للإيماء لأن هذا النوع نوع غير متعارف، وإما للإشارة إلى أن الحكم من أحكام النوعية، لا من أحكام الجنسية أو الفردية، مخافة توهم ذلك، وينبغي أن يتنبه لكون إفادة التنكير، إنما هو بمعونة القرائن والمقام. (التفتازاني، د.ت: 348/1). فالمقام هنا أفاد أن هذا القرآن نوع من أنواع الذكر غير متعارف عليه قبل نزوله على قريش، ونوع من الذكر يتلى في المساجد وينال بتلاوته الفوز في الدارين، فالله تعالى هنا بيّن حال هذا الذكر بأنه ليس من الشعر، وإنما هو نوع من أنواع الذكر من عند الله. وهكذا يهديك النظر إلى إدراك معان لطيفة، فحين ننظر في قول الشاعر:

ولولا رجال من رزام بن مازن وآل سبيع أو أسوءك علقمًا

يلفتك التنكير في رجال لأن الشاعر يعني رجالًا ليسوا كالرجال الذين يعرفهم الناس، وإنما هم رجال من نوع آخر كأنهم غريبون في خلائقهم وشجاعتهم، أو بلغوا في معنى الرجولية مبلغًا لا يحاط به. (أبو موسى، 2009، ص 255). فالحالة المقتضية لقصر المسند إليه على المسند هي أن يكون عند السامع شك بصواب أو خطأ، وأنت تريد تقرير صوابه أو نفيه، وعليه ما يحكيه عز وجل في حق يوسف عن النسوة ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ (يوسف: 31) أي أنه مقصور على الملكية لا يتخطاها إلى البشرية. (السكاكي، 2000، ص 293).

وفي سورة القلم، نكر (ذكر) للتعظيم أيضًا، فقد قال تعالى في سياق الآية ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ ﴾ (51) ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢ ﴾(القلم: 52).

فقيل: كانت العين في بني أسد، فكان الرجل منهم يتجوَّع ثلاثة أيام، فلا يمر به شيء. فيقول فيه: لم أر كاليوم مثله إلا عانه، فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول مثل ذلك، فقال: لم أر كاليوم رجلًا؛ فعصمه الله؛ وعن الحسن: دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْر) (الزمخشري، 1987: 3-4، 1278، 1279) فناسب التنكير ب (الذكر) للتعظيم من شأن هذا القرآن وكذا الحال تمامًا في سورة التكوير، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ ﴾(التكوير:27). والمعنى: "وما القرآن بقول شيطان رجيم"، أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة (الزمخشري، 1987: 3-4، ص 1334) إنما هو ذكر وموعظة للعالمين والذين أرادوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يُوعظ به غيرهم (الزمخشري، 1987: 403، 1334، 1335).

إذن: نكر(ذكر) في سورة التكوير لتعظيم شأن القرآن الكريم، وعلو قدره، فالمقام مقام تعظيم فليس بقول شيطان، وإنما هو ذكر من الله عظيم القدر والفائدة. والملاحظ أن الآيات التي وردت فيها كلمة (الذكر) نكرة جاءت بصيغة القصر، والقصر من دلالات التوكيد " لأن حاجة التعبير هنا إلى التوكيد واضحة، لأنهم يدعون في القرآن ما ينكره عليهم الرسول والمؤمنون، ثم هم راغبون في رواج مقالتهم فيه فلا بد من توكيدها ليتقبلها من لا يعرف القرآن ونبيه -صلى الله عليه وسلم- من القبائل الأخرى التي كانت لا تزال تثق في قريش وحكمتها، وكانت مقالة قريش في القرآن تصاغ في أسلوب مؤكد " (أبو موسى، 2009، ص 261).

انظر إلى قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾(الفرقان: 4)، وكيف بينت العبارة هذا البناء الصلب من استعمال اسم الإشارة ومجيئها على أسلوب القصر والإخبار عنه بأنه أفك. (أبو موسى، 2009، ص262).

والمعتمد في إيثار التنكير على التعريف هو أن الغرض إخراجها مخرج الإطلاق عن كل قيد من القيود اللازمة لها من تعريف أو تخصيص. (العلوي، 2002، 2 / 11).

وهكذا: فالنكرة تفيد معناها مطلقًا من كل قيد، أما ما يذكره علماء البلاغة من معان استفيدت من النكرة؛ فإنها لم تفدها بطبيعتها، وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه، فكأنما المقام هو الذي يصف النكرة، ويحدد معناها (بدوي، 2011، ص 102).

إذن: المقام حدد لنا الفائدة البلاغية من تنكير (ذكر) أو تعريفه، كما كان هذا واضحًا في الآيات السابقة.

رابعًا: الإفراد والجمع

جاء ذلك في آيتين، ففي الأولى ورد مفردا، وورد جمعًا في آية أخرى؛ فكلمة (مَنَاسِك)، هي جمع للعبادات الداخلة في شعيرة الحج، ومن بينها الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (البقرة: 200)، بينما أفردت عبادة (الصلاة) وذكرت دون غيرها من العبادات في آية أخرى، كما في قوله ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ (النساء: 103).

أما الآية الأولى، فلأنها "تفريع على قوله ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾(البقرة: 199)؛ لأن تلك الإفاضة هي الدفع من مزدلفة إلى منى، أو لأنها تستلزم ذلك. و (منى) هي محل رمي الجمار، وأشارت الآية إلى رمي جمرة العقبة يوم عاشر ذي الحجة، فأمرت بأن يذكروا الله عند الرمي ثم الهدي بعد ذلك، وقد تم الحج عند ذلك وقضيت مناسكه " (ابن عاشور، د.ت، 1/ 244).

ولما كانت هذه العبادات كثيرة وهي أكثر من عبادة، عبر بالمناسك، وهي مجموع عبادات الحج؛ بينما أفرد عبادة الصلاة في آية النساء، في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ (النساء: 103)، إشارة إلى الأمر بالصلاة حال الطمأنينة؛ تنبيهًا على عظم قدرها وبيانًا لأنها أوثق عُرى الدين وأقوى دعائمه وأفضل مهذبات السلوك، لأنها مشتملة على مجمع الذكر. وقد ذكر الزركشي في البرهان أن هذه القاعدة اطردت في مواضع الحكمة. (الزركشي، د.ت، 10/4) وسمى هذه القاعدة فيما ورد في القرآن مجموعًا ومفردًا. (الزركشي، د.ت، 6/4) والحكم في ذلك راجع إلى السياق الذي يقرر إفراد الكلمة أو تثنيتها أو جمعها، كما ظهر في الشاهدين السابقين، حينما أفرد عبادة الصلاة بالذكر لأهميتها، وجمع كلمة (مَنَاسِك) التي من ضمنها الصلاة، وهي مجموع العبادات التي تقام في فريضة الحج. وعلى هذا فالذكر هنا يشمل الذكر

المعنوي، والفعلي الذي أطلق عليه كلمة (مَنَاسِك) من العبادات التي تقام في الحج من سعي وطواف، ورمي جمار، وغيرها من العبادات (البقاعي، 2003، 2/ 311).

وهكذا يتضح كيفية عرض القرآن الكريم للكلمة المفردة، حين يراعي مقتضى الكلام وأهمية هذه الكلمة في الآية الواحدة، مثلما رأينا في الشاهد السابق، عندما أفرد كلمة (الصلاة) بالذكر، على خلاف الآية السابقة لها التي عبرت بجمع العبادات، وما ذاك إلا تعظيم لأمر هذه العبادة – الصلاة.- وعلى هذا، فالقرآن يراعي نظم الكلام، ويضع كل لفظة في موقعها المناسب من التركيب، بحيث لا يجوز فيها أي تغيير عن حالتها التي وردت عليها؛ ذلك أن كل نظم يتخذه القرآن سيكون له معنى إضافي زائد على المعنى الأصلي الذي يوجد في نظم آخر مماثل له، وتغيير النظم يضيع هذا المعنى. (قصاب، 2014، ص 108).

المبحث الثاني: اختلاف التراكيب في آيات المتشابه المتضمنة مادة (ذكر)

أولًا: الحذف والذكر

من المعلوم أن للحذف أغراضًا، وللذكر كذلك أغراضا، "وأن البلاغة مراعاة المقامات والأحوال، فالذكر في موطنه بليغ مطابق، والحذف في موطنه بليغ مطابق، وقد قالوا: إن يحيى بن خالد بن برمك أمر اثنين أن يكتبا كتابًا في معنى واحد، فأطال أحدهما واختصر الآخر، فقال للمختصر وقد نظر في كتابه: ما أرى موضع مزيد وقال للمطيل: ما أرى موضع نقصان، وقال الخليل: يختصر الكتاب ليحفظ ويبسط ليفهم، وقيل لأبي العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم كانت تطيل ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها" (أبو موسى، 2009، ص 216).

وعند التحقيق فالذكر لا ينافي الإيجاز، لأن وراء الذكر دافعًا نفسيًا ومغزى يحرص عليه المتكلم، فالذكر يحقق قيمة معنوية في الأسلوب، وفوات هذه القيمة عيب في الكلام وإخلال بالمطابقة، وقد يكون الكلام مع الذكر مبنيًا على غاية الإيجاز، فليس الذكر هو ما يتمدد به الأسلوب حتى يفيض عن المعنى، فيصير التعبير فارغًا في بعض جوانبه، وإنما هو الذكر الموجز البليغ (أبو موسى، 2009، ص 216).

وقد تمثل هذا الذكر في (ذكرًا) في آية، وعدم ذكره في آية أخرى؛ لأغراض بلاغية يقتضيها المقام وسياق القول، كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾ (الأحزاب: 41)، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾(الأنفال:45). فوجه تعلق السياق بما قبله في آية الأحزاب هو أن هذه السورة أصلها ومبناها على تأديب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد بدأ الله بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي مع الله، وهو التقوى، وذكر ما ينبغي أن يكون عليه الرسول أيضًا مع أهله وأقاربه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾(الأحزاب: 28) والله يأمر عباده المؤمنين بما يأمر به أنبياه المرسلين، فأرشد عباده كما أدب نبيه وبدأ بما يتعلق بجانبه من التعظيم فقال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾(الأحزاب:41). كما قال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾(الأحزاب:1). (الرازي، 1421، 25 /185). وهنا لطيفة وهي أن المؤمن قد ينسى ذكر الله فأمر بدوام الذكر (الرازي، 1421: 185/25) فقال (كثيرًا).

وفي هذا يقول الجرجاني في أهمية التصريح باللفظ: (ولهذا الذي ذكرنا من أن للتصريح عملًا لا يكون مثل ذلك العمل للكناية، كان لإعادة اللفظ في مثل قوله:﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ ﴾(الأسراء:105) الإضمار، فقيل: (وبالحق أنزلناه وبه نزل) لعدمت الذي أنت واجده الآن) (الجرجاني، 1989، ص 170). ولما كان ذكركم إياه على وجه التعظيم والتنزيه، وهو المراد بالتسبيح (الرازي، 1421، 185/25) ذكر قوله: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٤٢﴾﴾(الأحزاب: 42) وعلى هذا فالذكر هنا باللسان لمرافقته التسبيح والتهليل في أول اليوم وآخره.

أما آية الأنفال فالذكر فيها في تضاعيف القتال، وفسر بعضهم هذا الذكر بالتكبير، وبعضهم بالدعاء، ورددوا أدعية كثيرة في القتال (الألوسي، 2003، 10/ 293). وقيل المراد بالذكر: إخطاره بالقلب، وتوقع نصره، وقيل المراد: اذكروا الله ما وعدكم من النصر على الأعداء في الدنيا، والثواب في الآخرة، ليدعوكم إلى الثبات في القتال. (الألوسي، 2002، 10/ 293)؛ ولذلك فإنه لم يذكر (كثيرًا)، لأن هذا الذكر ذكر معنوي، يقيني، قائم في الصدور، وكل ما سبق يدل دلالة واضحة على أهمية الذكر، سواء كان ذكرًا باللسان من تسبيح، وتهليل، أو يقينًا بذكر الله، واستشعارًا لعظمة وجوده.

وهكذا: اعتنى القرآن بذكر كلمة (الذكر)؛ للاهتمام بها وتعظيم شأنها، وكان بالإمكان الاكتفاء بقوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ دون ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ ودون (اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا)؛ لوضوح المعنى، ولعل هذا يعلل قول العلوي في هذه المسألة، إذ يقول في باب (الإظهار في موضع الإضمار): "اعلم أن هذا وإن كان محدودًا من علم الإعراب، لكن له تعلق بعلم المعاني؛ وذلك أن الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة، وهو تعظيم حال الأمر المظهر والعناية بحقه. ومثاله قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ (العنكبوت: 19) ثم قال بعد ذلك: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ (العنكبوت:20) فانظر إلى إظهار اسمه جل جلاله في قوله ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ﴾، وكان قياس الإعراب (ثم ينشئ النشأة الآخرة) لأنه قد تقدم ما يفسر هذا الضمير، وهو قوله ﴿يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ﴾ والفائدة في ذلك هو المبالغة في الأمر المظهر وإظهار الفخامة فيه " (العلوي، 2002، 2/148 / 149).

ثانيا: الإبدال

وسيتناول هذا القسم الآيات التي تشابهت فيما بينها، ويكمن الاختلاف بالإبدال في: إبدال حرف مكان حرف، أو إبدال كلمة مكان كلمة وسيوضح أسباب هذا الإبدال بلاغيًا من خلال السياقات الواردة في الآيات، وكانت أمثلة الإبدال في هذه الدراسة على النحو الآتي:

الأول: إبدال الحروف

ومن ذلك إبدال حروف العطف، وهي (الفاء وثم)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾(الكهف،57)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾(السجدة: 22)، ففي سورة السجدة، "لما بلغت هذه الآيات من الوضوح أقصى الغايات، وكان الإعراض عنها مستبعدًا؛ عبّر عنه بأداة البعد، لذلك قال:﴿ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾ ضد ما عمله الذين لم يتمالكوا أن خروا سجدًا، وهو الأحسن. (البقاعي، 2003، 6/61).

ويجوز أن يكون (ثم) على بابها للتراخي؛ ليكون المعنى أن من وقع له التذكير بها في وقت ما، فأخذ يتأمل فيها ثم أعرض عنها بعد ذلك، ولو بألف عام، فهو أظلم الظالمين، (البقاعي، 2003، 6/ 61).

وقد عدل إلى(الفاء) في سورة الكهف كما في قوله: ﴿ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾ شرحًا لما يكون من حالهم، عند بيان سؤالهم، الذي جعلوه بأنه آية الصدق والعجز عنه آية الكذب" (البقاعي، 2003، 6/61). فلا عذر لمتعذر لما عليه حالهم، فقد ذكروا بآيات الله وهم من أعرضوا عنها، فلا مجال لوجود وقت طويل لإلقاء الأعذار، فستكون إجابتهم مباشرة أنهم ظلموا أنفسهم عندما تركوا الإيمان في وقت تذكيرهم به. يقول العلوي في مسألة العطف ب (الفاء وثم) في قوله تعالى: ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾(عبس: 19، 22):عطف في قوله (فقدره) بالفاء تنبيهًا على أن التقدير مرتب على الخلق، وعلى عدم التراخي بينهما، وعطف السبيل بثم، لما بين الخلق والهداية من التراخي والمهلة الكثيرة، ثم عطف الإقبار بالفاء إذ لا مهلة هناك، ثم عطف الإنشار بثم، لما يكون هناك من التراخي باللبث في الأرض أزمنة طويلة، فأكرم بهذه

اللطائف الشريفة والمعاني الزائفة التي لا تزاد على طول البحث إلا غوصًا على الأسرار ودخولًا في التحقيق، ولله سر التنزيل ما أجمعه للأسرار والعجائب. (العلوي، 2002: 2/ 25).

الثاني: إبدال الكلمات

ومن ذلك إبدال الفعل (خلق) بالفعل (جعل) لأسباب بلاغية؛ يحددها السياق كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾، (النجم: 45)، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ (الليل: 3).، وقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ (القيامة: 39).

ذهب الغرناطي إلى أن الفرق بين (جعل) و(خلق) هو أن (جعل) لا يرد إلا حيث يكون قبله ما يكون عنه أو منه، أو سببًا فيه محسوسًا عنه يكون ذلك المخلوف الثاني؛ بخلاف (خلق) فإن العبارة تقع كثيرًا به عما لم يتقدم وجوده وجود مغاير يكون عنه الثاني. (الغرناطي، 1983، 1/329).

ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ (القيامة: 39)، لما كان تمييز النطفة إلى ذكر وأنثى يتطلب التطوير في أطوار الخلق من نطفة إلى علقة إلى مضغة حتى صيرها عظامًا، وجعل العظام خلقًا آخر، وفصلها إلى ذكر وأنثى، أمر يحتاج إلى تغيير وتصيير؛ ناسب، التعبير بالفعل (فَجَعَلَ) دون (خَلَقَ)، (البقاعي، 2003، 8/ 257).

أما في سورتي النجم (42) والليل (3)، فقد عبر ب (خَلَقَ)، لأن السياق في سورة النجم متعلق بذكر القيامة، كما دل على ذلك قوله ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم : 42) فمن قدر على إيجاد الإنسان من العدم، فهو أقدر على إعادته، لذلك عبر ب (خَلَقَ)، لأن الخلق هو الإيجاد من العدم (العسكري، 2003، ص 165)، وهو أدل على القدرة، وكذا الحال في سورة الليل (3)، فسياق الآية وما بعدها متعلق بذكر الآخرة، واختلاف سعي الإنسان لها. فمن صدق بالكلمة الدالة على الحق ككلمة التوحيد... فستهيئه الخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة (الألوسي، 2003، 30 / 512)، وأما من بخل ولم يبذل في سبيل الخير بفعل ما أمر به وفيه وما فيه، أي زهد فيما عنده عز وجل، كأنه مستغن عنه سبحانه فسيُيسر إلى الخصلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار. (الألوسي، 2003، 30 / 512). لذلك فالتعبير بـ(خلق) أنسب لما فيه من الدلالة على الإيجاد من العدم. (العسكري، 2003، ص 165)، فمن قدر على الخلق ابتداءً، قادر على الإعادة.

أما فيما يتعلق بالتعبير ب (ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ)، فسياق الآية في سورة النجم متعلق بذكر الأضداد التي لا يقدر عليها إلا الله. فالله أوجد الضدين الضحك والبكاء في محل واحد، والموت والحياة، والذكورة والأنوثة في مادة واحدة، وإن ذلك لا يكون إلا من قادر. (الرازي، 1421، 30 / 17) فذكر المتقابلات في الجنس الذكر والأنثى. وفي سورة الليل فالسياق كذلك متعلق بذكر الشيء وضده، كما في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾(الليل: 1-3)،

فالنهار ظهر بزوال الليل أو تبين بطلوع الشمس، والأول على تقدير كون المغشي النهار أو كل مايواري أو مآلهما اعتبار وجود الظلام، والثاني على تقدير كونه الشمس إذ مآله اعتبار غروبها، فيحسن التقابل بين القرينتين على ذلك. (الألوسي، 2003، 30/ 510)، فناسب ذكر المتقابلات الذكر والأنثى.

وفي سورة القيامة، ففي قوله: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ﴾، أي من الإنسان، وقيل من المني الزوجين، أي الصنفين (الذكر والأنثى) بدلا من الزوجين، والخنثى لا يعدوها. (الألوسي، 2003، 29/ 230)، لذلك عبر ب ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾وهما صنفا الإنسان.

وهكذا: يتضح مما سبق أن من أبرز وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؛ تفرقته الدقيقة بين الألفاظ التي تُسمى بـ(المترادفة) وهي: الألفاظ المختلفة في أنفسها دون معانيها، كقولنا: نظر، وفكر، وعلْم، ومعرفة. (العلوي، 2002، 155/2). فهذه هي عمود البلاغة كما صرح بذلك الخطابي 1968 في قوله: "اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون به فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة؛ ذلك أن في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعنى يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكقوله: اقعد واجلس، وبلى ونعم، ومن وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات. والأمر فيها، وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك، لأن كل لفظة منها لها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كان قد يشتركان في بعضها." (ص 27، 28).

ثالثًا: التقديم والتأخير

التقديم والتأخير "هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم إن أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده له، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق" (الزركشي، د.ت: 233/3). وقد اختلف في عده من المجاز، فمنهم من عده منه، لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، والصحيح أنه ليس منه، لأن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع. (الزركشي، د.ت، 133/3). والمسند إليه إذا كان مبتدأ فرتبته التقديم، نحو: زيد قائم، وخالد في الميدان، وإذا كان فاعلًا فرتبته التأخير، أي الوقوع بعد الفعل، نحو: قام زيد، ويعطي محمد الجزيل، فإذا قدم المسند إليه على خبره الفعلي كان ذلك لأسرار بلاغية، وكذلك إذا قدم المسند على المسند إليه الذي رتبته التقديم، فإن هذا التقديم يكون لأسرار ومزايا بلاغية. (فيود، 2011، ص 195). وسيبين هذا المبحث أسباب التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر):

أما الآيات موضوع الدراسة التي وقع فيها التقديم والتأخير، فهي في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، فنجد أنها تأخرت في آية، وتقدمت في آيتين، مثل قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الأنعام:44)، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأعراف: 165)، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المائدة: 14)ففي سورة الأنعام، قدّم قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ لأنهم انصرفوا عن الفطرة ولم يهتدوا إلى تدارك أمرهم به)، ومعنى (ذكّروا به) أن الله ذكرهم عقابه العظيم بما قدّم إليهم من البأساء والضراء؛ و(لما) حرف شرط يدل على اقتران وجود جوابه بوجود شرطه، وليس فيه معنى السببية مثل بقية أدوات الشرط. (الطاهر ابن عاشور، 229/3)؛ لذلك قدم قوله ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ في آية الأنعام.

وفي سورة الأعراف عندما قال الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، " يعني أنهم لما تركوا ما ذكرهم به الصالحون، ترك الناسي لما ينساه؛ أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الظالمين المقدمين على فعل المعصية (الرازي، 1421، 15-16، ص 33). وفي سورة الأنعام، قدم قوله ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، لما فيه من معنى الشرطية. ومعنى (لما) في سورة المائدة أنهم ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾وهو الإيمان بمحمد- صلى الله عليه وسلم - أي لم يعملوا بما أُمروا به، وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سببًا للكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (القرطبي، د.ت: ص 87).

ف (لما) في سورة المائدة للسببية وليست للشرط، لأن في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾(أي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقبالًا وانضمامًا، فالباء سببية، وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس، أو بمعنى شيء، والجار متعلق بقوله ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ أي طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا عقوبة لهم. (الألوسي، 2003، 6/ 357) فالتقديم للسببية والمسببة. والمعنى: اللعن والنقص بأن يقال: مثلًا: فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هيئة الشئ البسيطة على هيئة الشئ المركبة للإيذان بأن تحققها أمر جلي غني عن البيان. (الألوسي، 2003، 6/ 357). فالفاء في آيتي الأنعام والأعراف في قوله ﴿فَنَسُوا﴾واقعة في جواب الشرط، لذلك تقدم قوله ﴿فَنَسُوا حَظًّا﴾ لأن الفاء هنا ربطت فعل الشرط بجوابه.

وفي ذلك يقول الجرجاني: (هذه الفاء في جواب الشرط نحو (إن تأتني فأنت مكرم)، فإنها وإن لم تكن عاطفة، فإن ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها، الرابطة بين الشرط وجوابه. فالسبب والمسبب هما اللذان تقدما في بداية آية المائدة في قوله ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ لذلك لم تدخلها الفاء كما في آية (الأنعام: 44 والأعراف: 165).

وهذا النوع من التقديم يدل عليه الإعراب، وهو ما قدم وهو على نية التأخير إذ يقدم فيه اللفظ على عامله، أو على ما هو أحق منه بالتقديم، ومن هذا النوع تقديم المفعول على الفاعل، أو على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ، والحال على صاحبها أو عاملها، وما شاكل ذلك. (قصاب، 2014، ص 124) فرتبة الذين أن تكون بعد أخذنا، وتقديره عند الكوفيين (ومن الذين قالوا إنا نصارى من أخذنا ميثاقه) فالهاء والميم تعودان على (من) المحذوفة، وعلى القول الأول تعودان على الذين، ولا يجيز النحويون أخذنا ميثاقهم من الذين قالوا إنا نصارى، ولا ألينها لبست من الثياب، لئلا يتقدم مضمر على ظاهر، وفي قولهم: إنا نصارى ولم يقل من النصارى دليل على أنهم ابتدعوا النصرانية وتسموا بها. (القرطبي، تفسير القرطبي،78/5). فمن داعي التقديم أن التأخير قد يؤدي إلى لبس يخل ببيان المعنى. (أبو موسى، 2009، ص 405).

والشواهد السابقة دلت على هذا النوع، فتقديم أداة الشرط لا بد أن يكون قبل فعل الشرط وجوابه، والفاء لا بد أن تكون وسطًا ورابطًا بين الجملتين، وكما أن هذا النوع تحكمه النواحي الإعرابية، فهو لا يخلو من أغراض أخرى، فهنا قدم قوله ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ بسبب ذكر السياق للفريق الآخر وهم اليهود في قوله ﴿*وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (المائدة: 12) فناسب ذكر اسم الفريق الثاني في نقض العهد وهم النصارى، لذلك قدم اسمهم في قوله قوله ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ على فنسوا حظا كما في الآيتين السابقتين

(الأنعام 44و الأعراف 165). " وكأن النقض يشمل كل مخالفة، واليهود والنصارى إنما أتي عليهم من عدم الوفاء ونقض العهود، فحذر المؤمنين " (الغرناطي، 1431، ص 93).

ثم بين أسباب نقضهم وكل محنة كانت بسبب هذا النقض (السابق، 93) أما معنى (الذكر) هنا، فهو التذكر خلاف النسيان، لأن استعمال النسيان بهذا المعنى كثيرًا (مِّمَّا ذُكِّرُواْ)

من التوراة، أو مما أمروا به فيها من أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- وقيل: حرفوا التوراة فسقطت بشؤم ذلك أشياء منها عن حفظهم. (الألوسي، 2002، 357/6)، إذن: الذكر هنا خلاف النسيان.

وبعد عرض الشواهد القرآنية الدالة على التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة المتضمنة لمادة (ذكر)، نجد أن التقديم أو التأخير فيها؛ إنما وقع لأسباب اقتضاها المعنى، والسياق كذلك؛ وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على دقة استخدام القرآن الكريم حتى للأدوات، وهي أصغر مكون للجملة القرآنية.

إذن: القرآن الكريم يُعنى عناية كاملة بالبلاغة من أصغر مكون للجملة القرآنية، إلى أن يصل للجملة الكاملة أو العبارة الكاملة، فبلاغته بمستوى واحد من إتمام البلاغة والعناية بها.

وبعد الانتهاء من مباحث هذه الدراسة التي درست الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر) وعرضت بلاغة القرآن الكريم في هذه الناحية، يمكننا القول: إن للقرآن خصائص يتميز بها عن غيره، وما زالت هذه الخصائص مثارًا للإعجاب منذ عصر النزول، وحتى تقوم الساعة، وهي قسمان:

أحدهما: خصائص يغلب عليها جانب الألفاظ، وليس المراد بغلبة اللفظ على المعنى، بل المراد أن الملحظ فيها؛ إنما يرجع إلى اللفظ، مع وفاء العبارة بالمعنى على أكمل وجه، مثل: فواصل السور، والتكرار، والفواصل بين الآيات. (المطعني، 1992: 1/ 19).

وثانيهما: خصائص يغلب عليها جانب المعاني، لأنه الملحوظ فيها مع روعة اللفظ، وتوافر مقومات وسائل الحسن، مثل: اختلاف الأغراض في السورة الواحدة، ودقة النظم بين تراكيبه، وثراء معاني الألفاظ في القرآن. (المطعني، 1992: 1/ 190).

وقد كانت آيات المتشابه -موضوع الدراسة- من الوجه الثاني، الذي كان متمثلا في التقديم والتأخير، والإبدال بين الكلمات والحروف، والإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، وغيرها من الخصائص البلاغية التي سلطت الضوء عليها هذه الدراسة، من باب غلبة جانب المعاني على الألفاظ، بمعنى: كانت هذه النواحي تابعة للسياق وجوانب تركيب نظم الآيات، مع الاهتمام بروعة اللفظ، والاعتناء بمقومات الحسن.

النتائج:

وبعد الانتهاء من الدراسة، فقد توصلت للنتائج الآتية:

- تنوعت معاني مادة (ذكر) في آيات الدراسة، حيث شملت التذكر الذي هو خلاف النسيان، والذكر بمعنى: الدعاء، والذكر بمعنى: التسبيح، وغيرها من المعاني، مما يدل على أن لمادة (ذكر) الكثير من المعاني فهي لم تقف عند معنى واحد.
- كان متشابه مادة (ذكر) من النوع الذي يهتم بجانب المعنى، وإن لم يخل من جانب اللفظ أيضًا، وهذه سمة من سمات الأسلوب القرآني.
- تناوبت الآيات المتشابهة المتضمنة مادة (ذكر) عند استخدام الأفعال أو الكلمات التي يُظن أنها مترادفة، ولكنها في حقيقة الأمر مختلفة، فلكل كلمة معنى خاص بها دون غيرها.
- تناوبت حروف العطف في آيات الدراسة؛ وهذا التناوب حسب المعنى الأقوى بلاغيًا.

- يُذّكر لفظ (الذكر) تارة، ويؤنث تارة أخرى، بحسب سياق الكلام، ومقتضى حال السامعين.
- ذُكرت بعض المفردات مجموعةً، وأخرى مفردة، وهذا أيضًا بحسب سياقات الكلام، ومقتضى حال السامعين.
- يُؤتى بلفظ (ذكر)، في موضع الإظهار، والأولى أن يكون مضمرًا، ويكمن السبب في الغرض البلاغي الذي يرمى إليه الكلام.

المراجع

أبو موسى، م. (2009). *خصائص التراكيب، مكتبة* وهبة.

الألوسي، أ. ا. (2000). *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني*، دار إحياء التراث.

الرازي، ف. (1421). *التفسير الكبير*، دار الكتب العلمية.

بدوي، أحمد، (2011)، *من بلاغة القرآن* (ط. 6). نهضة مصر.

البقاعي، أ. ب. (2003). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور* (ط.2). دار الكتب العلمية.

التفتازاني، س. (د.ت). *شروح التلخيص*، مطبعة عيسى البابلي.

الجرجاني، أ. ع. (1989). *دلائل الإعجاز* (ط.2). مكتبة الخانجي.

الخطابي، م. (1968). بيان إعجاز القرآن، *ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*، (محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، تحقيق؛ ط.2)، دار المعارف.

الخطيب الإسكافي. (1422). *درة التنزيل وغرة التأويل*، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

ابن الزبير الغرناطي، أ. إ. (1983). *ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل* (سعيد الفلاح، تحقيق)، دار الغرب الإسلامي.

الزمخشري، م. (1987). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط.3). دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي.

الغرناطي، أ. إ. (1431). *البرهان في تناسب القرآن* (ط.2). دار ابن الجوزي.

السامرائي، ف. (2006)، *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني*، شركة العاتك.

الزين، ه. (1432). *علم متشابه القرآن والدرس البلاغي نظرة جديدة*، ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول، بحث مقدم، جامعة الإمام محمد بن سعود.

السكاكي، أب. ي. (2000). *مفتاح العلوم* (عبدالحميد هنداوي، تحقيق)، دار الكتب العلمية.

السيوطي، ج. ع. (1997). *الإتقان في علوم القرآن*، المكتبة العصرية.

السيوطي، ج. ع. (د.ت). *معترك الأقران في إعجاز القرآن* (علي محمد البجاوي، تحقيق). دار الفكر العربي.

ضيف، ش. (1990). *البلاغة تطور وتاريخ*، دار المعرفة.

المطعني، ع. إ. (1992). *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*، مكتبة وهبة.

الطاهر بن عاشور، م. ا. (د. ت). *التحرير والتنوير*، دار سحنون.

العسكري، أ. ه. (2003). *الفروق اللغوية* (ط.2). دار الكتب العلمية.

العلوي، ي. ب. ح. (2002). *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، المكتبة العصرية.

فيود، ب. (2011). *علم المعاني* (ط.3). مؤسسة المختار.

قصاب، و. (2014). *في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم* (ط.2). دار الفكر.
القرطبي، م. (د.ت). *الجامع لإحكام القرآن*، دار الشعب.
الكرماني، م. ح. (1991). *البرهان في متشابه القرآن*، دار الوفاء.

References

Abu Musa, M. (2009). *Khasāʾiṣ al-tarākīb* [The Characteristics of Structures]. Wahba Library.

Al-Alusi, A. A. (2000). *Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān wa-al-sabʿ al-mathānī* [The Spirit of Meanings in the Exegesis of the Qur'an and the Seven Oft-Repeated Verses]. Dār Iḥyāʾ al-Turāth.

Al-Rāzī, F. (1421 AH). *Al-Tafsīr al-kabīr* [The Grand Commentary]. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Badawī, A. (2011). *Min balāghat al-Qurʾān* (6th ed.) [On the Eloquence of the Qur'an]. Nahdat Misr.

Al-Biqāʿī, I. B. (2003). *Naẓm al-durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar* (2nd ed.) [The Arrangement of Pearls in the Coherence of Verses and Surahs]. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Al-Taftāzānī, S. (n.d.). *Sharūḥ al-Talkhīṣ* [Commentaries on Al-Talkhīṣ]. ʿĪsā al-Bābī Press.

Al-Jurjānī, A. ʿA. (1989). *Dalāʾil al-iʿjāz* (2nd ed.) [Proofs of Inimitability]. Al-Khānjī Library.

Al-Khaṭṭābī, M. (1968). *Bayān iʿjāz al-Qurʾān*, in *Thalāth rasāʾil fī iʿjāz al-Qurʾān* (M. Khalaf Allāh & M. Z. Sallām, Eds., 2nd ed.). Dār al-Maʿārif.

Al-Khaṭīb al-Iskāfī. (1422 AH). *Durat al-tanzīl wa-ghurrat al-taʾwīl* [The Pearl of Revelation and the Brilliance of Interpretation]. Umm Al-Qura University.

Ibn al-Zubayr al-Gharnāṭī, A. I. (1983). *Milāk al-taʾwīl al-qāṭiʿ li-dhawī al-ilḥād wa-al-taʿṭīl fī tawjīh al-mutashābih al-lafẓ min āy al-tanzīl* (S. al-Fallāḥ, Ed.). Dār al-Gharb al-Islāmī.

Al-Gharnāṭī, A. I. (1431 AH). *Al-Burhān fī tanāsub al-Qurʾān* (2nd ed.) [The Proof of the Coherence in the Qur'an]. Dār Ibn al-Jawzī.

Al-Sāmarrāʾī, F. (2006). *Balāghat al-kalima fī al-taʿbīr al-Qurʾānī* [The Eloquence of the Word in Qur'anic Expression]. Al-ʿĀtik Company.

Al-Zayn, H. (1432 AH). *ʿIlm mutashābih al-Qurʾān wa-al-dars al-balāghī: Naẓra jadīda* [The Science of Qur'anic Ambiguities and the Rhetorical Approach: A New Perspective]. Paper presented at the Conference on Rhetorical Studies: Realities and Aspirations, Imam Muhammad Ibn Saud University.

Al-Sakkākī, A. Y. (2000). *Miftāḥ al-ʿulūm* (ʿA. H. Hindāwī, Ed.) [The Key to the Sciences]. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Al-Suyūṭī, J. A. (1997). *Al-Itqān fī ʿulūm al-Qurʾān* [The Perfect Guide to the Sciences of the Qur'an]. Al-Maktaba al-ʿAṣriyya.

Al-Suyūṭī, J. A. (n.d.). *Muʿtarak al-aqrān fī iʿjāz al-Qurʾān* (ʿA. M. al-Bajāwī, Ed.) [The Arena of Contemporaries in the Inimitability of the Qur'an]. Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Ḍayf, Sh. (1990). *Al-Balāgha: Taṭawwur wa-tārīkh* [Rhetoric: Development and History]. Dār al-Maʿrifa.

Al-Muṭʿanī, ʿA. I. (1992). *Khaṣāʾiṣ al-taʿbīr al-Qurʾānī wa-simātuhu al-balāghiyya* [The Stylistic and Rhetorical Features of Qur'anic Expression]. Wahba Library.

Ibn ʿĀshūr, M. A. (n.d.). *Al-Taḥrīr wa-al-tanwīr* [The Enlightenment and Elucidation]. Dār Sahnūn.

Al-ʿAskarī, A. H. (2003). *Al-Furūq al-lughawiyya* (2nd ed.) [Linguistic Distinctions]. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Al-ʿAlawī, Y. B. Ḥ. (2002). *Al-Ṭirāz al-muḍamman li-asrār al-balāgha wa-ʿulūm ḥaqāʾiq al-iʿjāz* [The Style Embodying the Secrets of Rhetoric and the Sciences of Inimitability]. Al-Maktaba al-ʿAṣriyya.

Fayyāḍ, B. (2011). *ʿIlm al-maʿānī* (3rd ed.) [The Science of Meaning]. Al-Mukhtār Foundation.

Qaṣṣāb, W. (2014). *Fī al-iʿjāz al-balāghī li-al-Qurʾān al-karīm* (2nd ed.) [On the Rhetorical Inimitability of the Noble Qur'an]. Dār al-Fikr.

Al-Qurṭubī, M. (n.d.). *Al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān* [The Comprehensive Commentary on Qur'anic Rulings]. Dār al-Shaʿb.

Al-Kirmānī, M. H. (1991). *Al-Burhān fī mutashābih al-Qurʾān* [The Proof in the Ambiguities of the Qur'an]. Dār al-Wafāʾ.